السياسية اللغوية والتخطيط اللغوي لتعليم اللغة العربية لغة ثانية في ماليزيا

الأستاذ الدكتور مجدي حاج إبراهيم
أستاذ الترجمة بقسم اللغة العربية وآدابها
الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

abstract

The aim of this study is to follow the development of the language education policy and the linguistic planning of language teaching in general and the Arabic language, especially in Malaysia before and after independence. The Arabic language lost its prestige and status during the period of English occupation, which imposed the hegemony of English on the educational system. After Malaysia's independence, the first Malaysian government excluded Arabic from its language policy, which was aimed primarily at pushing the Malay language into the country's first language of instruction. At the end of the 20th century, however, the Malaysian government reviewed its language policies and included Arabic language instruction in its language and educational plan.

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تتبع تطور سياسة التعليم اللغوية والتخطيط اللغوي لتعليم اللغات بعامة واللغة العربية بخاصة في ماليزيا قبل الاستقلال وبعده. لقد فقدت اللغة العربية حظوتها ومكانتها أبان فترة الاحتلال الإنجليزي الذي فرض هيمنة اللغة الإنجليزية على النظام التعليمي. وبعد استقلال ماليزيا، استبعدت الحكومة الماليزية الأولى اللغة العربية من سياستها اللغوية التي كانت تهدف بالدرجة الأولى إلى الدفع باللغة القومية "الملايوية" لتصبح لغة التعليم الأولى في البلاد. بيد أن الحكومة الماليزية قامت في نهاية القرن العشرين بمراجعة سياساتها اللغوية وإدراج تعليم اللغة العربية ضمن خطتها اللغوية والتربوية.

المقدمة:

مرت عملية تعليم اللغة العربية في ماليزيا بمراحل مختلفة، ففي مرحلة ما قبل الاستقلال كان تعليم العربية يقوم على الجهود الفردية والشخصية لبعض المشايخ الذين أنشؤوا كتاتيب خاصة في بيوتهم أو في زوايا المساجد. ولم يعرف المجتمع الملايوي النظام التعليمي الحديث المتمثل في المدارس ذات المناهج التعليمية والفصول الدراسية إلا في بدايات القرن التاسع عشر على يد الإنجليز الذين عملوا على فرض هيمنة اللغة الإنجليزية على النظام التعليمي في ماليزيا، لكنهم سمحوا في الوقت نفسه بظهور المدارس الملايوية والصينية والهندية، فحصروا سياسة التعليم اللغوية على أربع لغات فقط؛ هي: الإنجليزية والملايوية والصينية والهندية، وبالتالي خرجت اللغة العربية بطريقة غير مباشرة من المناهج المدرسية العربية.

وبعد استقلال ماليزيا عام 1957م، حاولت الحكومة الماليزية وضع سياسات لغوية في البلاد للدفع بالملايوية لتصبح اللغة الرسمية للبلاد. وعلى الرغم من رحيل المحتل الإنجليزي من البلاد، ظلت اللغة الإنجليزية مادة أساسية في المناهج الدراسية لجميع المراحل الدراسية. ومع احتدام الصراع اللغوي في ماليزيا، فقدت اللغة العربية حظوتها ومكانتها عندما خرجت من التخطيط اللغوي لسياسة الحكومة الماليزية اللغوية في الستينات والسبعينات من القرن المنصرم.

وفي نهاية القرن العشرين ظهرت نتائج السياسة اللغوية التي اعتمدتها الحكومة الماليزية بعد الاستقلال، إذ ظهر جيل جديد من الماليزيين لا يعرف الحروف العربية، ولا يستطيع قراءة القرآن، ولا يقدر على قراءة الأدعية والأوراد والأذكار إلا من خلال الحروف اللاتينية.

وتلبية لمطالب الجماهير المسلمة، قامت الحكومة الماليزية بمراجعة سياساتها اللغوية لتصحيح خطأ استبعاد تعليم اللغة العربية من التخطيط اللغوي للبلاد، فقامت برسم تخطيط لغوي جديد واضح المعالم لاعتماد تدريس اللغة العربية في المناهج الدراسية.

من هذا المنطلق، تأتي هذه المقالة لدراسة السياسة اللغوية في ماليزيا والتخطيط اللغوي لتعليم اللغة العربية في ماليزيا، والمشكلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية والثقافية التي تواجههما. وسنعتمد في دراسة التخطيط اللغوي لتعليم اللغة العربية على دراسة الاحتياجات والأهداف والوسائل، والنظر في خطة العمل وتقويمها ومراقبة النتائج، كما سنحاول أيضا العمل على تقويم النتائج التي تمخضت عن السياسة اللغوية الماليزية، ودراسة مدى جدواها، وفرص نجاحها وفشلها.

السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي في ماليزيا

السياسة اللغوية هي "مجموع المبادئ والمعايير التي يراعيها نظام البلد في بناء الخطة المعتمدة في تحديد وظائف الاستعمال اللغوي في المجالات المختلفة، وترقية الاهتمام بشأن اللغة الوطنية وتنظيم التعامل الإيجابي معها ومع اللغات المساعدة مع إبراز الاتجاهات العملية التي تضبط وضع اللغة ودرجة الاهتمام بها في كل مجال من مجالات الحياة داخل أنظمة المجتمع ومؤسساته"

[1]. أما التخطيط اللغوي فهو "نشاط يشير إلى العمل المنتظم على الصعيد الرسمي أو الخاص الذي يحاول حل المشكلات اللغوية في مجتمع من المجتمعات، ويكون ذلك على المستوى القومي، ومن خلال التخطيط اللغوي يكون التركيز على التوجيه أو التغيير، أو المحافظة على اللغة المعيارية أو الوضع الاجتماعي للغة سواء كانت مكتوبة أو منطوقة"[2].

يتضح من هذين التعريفين أن السياسة اللغوية تعني بسن القوانين واللوائح، في حين أن التخطيط اللغوي يعني بالإجراءات والتدابير المتبعة لتحقيق أهداف السياسة اللغوية. لقد أصبحت السياسيات اللغوية جزءا لا محيد عنه في كل سياسة؛ نظرا لارتباط اللغة بالسيادة، وحدود الدولة، والسياسات الثقافية والاقتصادية، والحقوق الفردية والجماعية[3]. وبما أن السياسة اللغوية تمثل جزءًا من السياسة العامة التي تنتهجها الدولة من أجل تسيير حياة المجتمع وتدبير شؤونه المادية والمعنوية وصناعة الواقع الاجتماعي والثقافي والمعرفي وبناء الحياة المستقرة وتحقيق التعايش الجماعي السلمي المنسجم، فإن التخطيط اللغوي الناجح يتطلب تضافر الجهود والعمل المستمر لإيجاد الحلول، وهو ما يؤكده وينستاين (Weimstein) الذي يرى أن التخطيط اللغوي يمثل "الجهود المستمرة الطويلة الأجل التي تخولها الدولة بهدف تغيير لغة ما، أو بهدف تغيير وظائف تلك اللغة في المجتمع من أجل إيجاد حلول للمشكلات المتعلقة بالاتصال والتفاهم بين أفراد المجتمع"[4].

إن التخطيط اللغوي يتطلب دراسة واقع اللغة أو اللغات في المجتمع، والتنبؤ بمستقبلها بناء على معطيات الواقع ومتغيراته، ومحاولة التأثير في ذلك المستقبل وتوجيهه نحو ما يراد. وتعد دراسة واقع اللغة وفهم العوامل المؤثرة في علاقتها مع المجتمع والمواقف تجاهها من أبرز أنشطة التخطيط اللغوي. وفي البيئات متعددة اللغات مثل ماليزيا يصبح التخطيط اللغوي مطلبا لا غنى عنه عندما يتعلق الأمر باختيار اللغة الرسمية للبلاد وتحديد آلية الاختيار وحدوده، وتقنين اللغة الثانية وحدود استخداماتها، والقرارات المرتبطة بالتحول اللغوي، فضلا عن وضع الأنظمة والتشريعات التي تنظم إدارة الشأن اللغوي[5].

الوضع اللغوي في ماليزيا

تحولت ماليزيا بسبب الاستعمار إلى دولة متعددة اللغات والثقافات والديانات، ولم يقف الأمر عند هذا الحد فحسب، بل ساهم الاستعمار من جهة في فرض اللغة الإنجليزية وجعلها لغة التحصيل العلمي، ومن جهة أخرى جعل اللغة الملايوية التي هي لغة السكان الأصليين لغة من الدرجة الثانية. لقد عانت الملايوية في زمن الاحتلال من تخلف متكلميها وضعفهم السياسي والاقتصادي والفكري، فضلا عن ظهور لغات أخرى في مجتمعها نافستها وقيدت استخدامها؛ وذلك لأن الاستعمار الإنجليزي

في سبيل تحقيق مطامعه في الاستيلاء على خيرات المنطقة ونهب ثرواتها قام بإدخال عناصر أجنبية دخيلة في أرخبيل الملايو. فقد ترك السكان الأصليين – الملايويين – في القرى يعيشون حياتهم البدائية، وجاء بأعداد كبيرة من الصينين البوذيين للتنقيب في المناجم، والهنود الهندوس لزراعة المطاط. وبذلك حول الاستعمار الإنجليزي المجتمع الملايوي الواحد إلى مجتمع متعدد الأجناس والأعراق والديانات والألوان والثقافات[6]. على صعيد آخر ساهم الاستعمار في جعل الملايويين مواطنين من الدرجة الثانية، وذلك عندما ساعد الصينيين على الإمساك بزمام الاقتصاد في البلاد. فقد ساعدت عمليات تنقيب المعاجم – التي اعتمد الإنجليز فيها على العمالة الصينية – على تحسين ظروف الجالية الصينية دون غيرهم ماديا واجتماعيا واقتصاديا. ونظرا لأن معظم المناجم كانت متاخمة للمدن الكبيرة التي هي عصب التجارة في الأرخبيل الملايوي وفيها مراكز الاستعمار الرئيسة، أقام الصينيون في هذه المدن، وتمتعوا بمزاياها وقطفوا ثمار خيراتها، واستطاعوا في فترة وجيزة أن يفرضوا سيطرتهم على تجارة المدن الكبرى، ويوسعوا نفوذهم ويقبضوا بأيديهم على زمام الاقتصاد، ولا يزالون حتى يومنا هذا، في حين ظل الهنود في حقول المطاط، والملايويين في القرى النائية يشتغلون بالزراعة.

وفي ظل الزخم اللغوي والثقافي الذي كانت تعاني منه المنطقة، تضاءل تأثير اللغة العربية على المجتمع الملايوي وذلك بعد أن نجح المستعمر الإنجليزي في تغيير نظام كتابة اللغة الملايوية (الجاوية) من خلال إحلال الحروف اللاتينية مكان الحروف العربية. وقد بدأت عمليات الدعوة نحو الابتعاد عن الكتابة الجاوية عندما اجتمع مناصرو كتابة اللغة الملايوية بالأبجدية اللاتينية وبعض المسؤولين الذين تشبعوا بالثقافة الغربية في سنغافورة عام 1952م لوضع خطط مستقبلية لإلغاء الأبجدية العربية. وفي عام 1954م عقد مؤتمر إقليمي في مدينة سرمبان للمطالبة بإحلال الحروف اللاتينية مكان الحروف العربية، وقام المشاركون في المؤتمر بتقديم طلب رسمي بتاريخ 27 مارس 1954م إلى المندوب البريطاني في البلاد للموافقة على استخدام الأبجدية اللاتينية في كتابة اللغة الملايوية بدلاً من الأبجدية العربية. وقد استجابت السلطات البريطانية مباشرة لهذا الطلب، وقد كان من شروط منح ماليزيا استقلالها عام1957م اعتماد الحروف اللاتينية في كتابة اللغة الملايوية بحجة أن الكتابة اللاتينية بمقدورها أن توحّد بين القوميات المتعددة التي تسكن البلاد من الملايويين والصينيين والهنود. وبعد الاستقلال، أجرت الحكومة الماليزية استفتاء للفصل في قضية اعتماد أبجدية اللغة الملايوية في المكاتبات الرسمية في البلاد، وطلبت من المتخصصين الاختيار بين الحروف العربية والحروف اللاتينية، وفاز في التصويت أنصار الحروف اللاتينية[7]. وفي عام 1963م أصدرت الحكومة الماليزية قانونا ينصّ على وجوب استخدام الحروف اللاتينية في المراسلات الرسمية في الدواوين الحكومية والمراكز والمؤسسات العلمية في جميع أنحاء البلاد، شريطة ألا يمنع ذلك استخدام الأبجدية الجاوية، كما منعت التوقيع على الوثائق الحكومية الرسمية المكتوبة بغير الحروف الرومية اللاتينية[8].

السياسة اللغوية في النظام التعليمي الماليزي قبل الاستقلال:

لم يعرف المجتمع الماليزي المدارس ذات المناهج التعليمية والفصول الدراسية إلا في بدايات القرن التاسع عشر، ويعود الفضل في ذلك للإنجليز، أو بالأحرى للحركات التبشيرية التي كانت تنظمها الجمعية التبشرية بلندن، وذلك حين استعانت المدارس الإنجليزية التبشيرية بالملايوية في مناهجها التعليمية لاستقطاب الملايويين نحو المسيحية[9]. وقد بادرت مدرسة بينانج المجانية Penang Free School باستخدام الملايوية في مناهجها التعليمية عام 1819م، فأصبحت أول مدرسة في ماليزيا تستخدم الملايوية في مناهجها التعليمية.

وفي عام 1847م سحبت الجمعية التبشرية جميع مبشريها، وأصبح التعليم في المدراس الإنجليزية خاليا من الدعوات التبشيرية الصريحة. وبعد رحيل المبشرين قام الملايويون بمساعدة الإنجليز بإنشاء المدارس الابتدائية الدينية عام 1860م. وفي عام 1907م، كانت ماليزيا تضم 232 مدرسة للبنين و34 مدرسة للبنات، لكنها كانت جميعها مدارس ابتدائية ذات مساحات صغيرة وإمكانات محدودة.

كان الهدف الرئيس من إنشاء هذه المدارس محاربة الجهل ومحو الأمية المتفشية، وتعليم الملايويين المهارات الأساسية في القراءة والكتابة والحساب. ولم تكتف الحكومة الإنجليزية بحصر التعليم الوطني على المدارس الابتدائية فحسب، بل عملت عام 1885م على تقليص فترة الدراسة في المدراس الملايوية الابتدائية من ست سنوات إلى أربع سنوات.

كانت السياسية الإنجليزية التعليمية ترى أن سنوات التعليم الأربع التي تقدمها المدارس الابتدائية الملايوية كافية وكفيلة لتهيئة حياة عادية دون المتوسطة للملايويين. وقد جاء في نص تقرير الحاكم الإنجليزي لولاية نجري سمبيلان للحكومة الإنجليزية المركزية (بتاريخ 1898/6/14م) بأن "المدراس القومية الابتدائية تعلم الملايويين القراءة، والكتابة، والحساب، وعلم الطبيعة، والحروف الإنجليزية. وهذا التعليم كاف لجعلهم منضبطين، ومطيعين، وأمناء، وقادرين على العمل مع الحكومة الإنجليزية ليكونوا لها عيونا، وموظفين في الجمارك، ومكاتب الغابات، والمناجم"[10].

من جانب آخر، حذت الجاليتان الصينية والهندية حذو الملايويين فأنشأتا مدارس خاصة تستخدم اللغتين الصينية والهندية في تقديم المهارات اللغوية الأساسية. وعليه فقد تعددت المدراس الابتدائية، ولكن ظلت الإنجليزية المسيطرة على النظام التعليمي للبلاد. فقد كان على التلاميذ الراغبين في مواصلة دراساتهم، على اختلاف انتماءاتهم، الالتحاق بالمدارس الثانوية الإنجليزية الموجودة في المدن الكبرى. ولم يكن ذلك في مقدور معظم الناس، خاصة الملايويين منهم، حيث كانت رسوم الدراسة فيها عالية، فضلا عن ارتفاع تكاليف نفقات الإقامة بالمدن. وعند توفر الإمكانات المادية للراغبين في مواصلة دراستهم، كان عليهم إتقان الإنجليزية لأن الدراسة في المرحلة الثانوية إنجليزية بحتة لا نصيب فيها للغات المحلية والقومية، ملايوية كانت أم صينية أم هندية. ونتيجة لذلك أحجم معظم الملايويين عن مواصلة تعليهم واكتفوا بالشهادة الابتدائية[11].

وبعد الحرب العالمية الثانية، دخل المجتمع الملايوي مرحلة جديدة من الفكر والوعي القومي، فقد أدركوا بعد أن هزمت القوات اليابانية الإنجليز في أرخبيل الملايو أن القوة الإنجليزية ليست خارقة كما كانوا يتصورون، واقتنعوا أن بمقدورهم قهرها وإخراجها من أراضيهم كما فعل اليابانيون. وعملا نحو تصحيح السياسة اللغوية التي فرضها الإنجليز، شكلت الحكومة الإنجليزية لجان متخصصة لوضع خطط لغوية وبرامج تعليمية جديدة توفر التعليم المجاني لجميع طبقات المجتمع الماليزي، لتبدأ مرحلة جديدة من التعليم المختلط[12]. وكان من بين أهم نتائج التخطيط اللغوي في هذه الفترة ظهور تقريرين، وهما:

تقرير بارنيس:

كلفت الحكومة الإنجليزية إل. جي. بارنيس L. J. Barnes، مدير التدريب الاجتماعي بجامعة أكسفورد، بدراسة مشكلات النظام التعليمي الماليزي. وقد جاء في "تقرير بارنيس" عام 1951م أن الملايوية يجب أن تكون لغة التعليم الأولى، لكنه أكد على ضرورة إبقاء الإنجليزية في مناهج التعليم الماليزية. وعليه فقد تبنى لغتين فقط في مناهج التعليم، هما الملايوية والإنجليزية، ونادى بتوحيد المدارس الحكومية، وجعلها مدارس ملايوية وإنجليزية فقط. لكن هذا التقرير لاقى معارضة شديدة من الصينيين والهنود الذين تمكنوا في نهاية المطاف من إبطاله.

تقرير فين–وو:

عينت الحكومة الإنجليزية لجنة أخرى برئاسة فين–وو Fenn–Wu لدراسة مصالح الأقوام الأخرى في النظام التعليمي الماليزي، وعلى رأسها مصالح الجالية الصينية. وقد جاء "تقرير فين – وو" مؤيدا وداعما لتقرير بارنيس في جعل الملايوية والإنجليزية لغة التعليم الرئيسة في المدارس الحكومية الماليزية، ولكنه أكد على ضرورة توفير السبل والإمكانات للتعليم باللغتين الصينية والهندية عند الحاجة والطلب، بشرط أن لا يقل عدد التلاميذ في الفصول الصينية والهندية عن 15 تلميذا[13].

لم يدخل التقرير حيز التنفيذ في عهد الإنجليز لنقص ميزانية التعليم، وعدم توفر الإمكانات اللازمة من معلمين مدربين مؤهلين، فضلا عن معارضة بعض الأطراف الصينية والهندية التي كانت ترى أن التقرير يحجم اللغتين الصينية والهندية ويجعلهما لغتين من الدرجة الثالثة[14]. وعليه، ظل النظام التعليمي قبل استقلال ماليزيا عام 1956م معتمدا اعتمادًا شبه كلي على الإنجليزية، ولم يتجاوز دور الملايوية في النظام التعليمي آنذاك المرحلة الابتدائية، وحتى المدارس التي كانت تستخدم الملايوية في مناهجها التعليمية لم تكن تقدم مادة اللغة الملايوية، وكل ما في الأمر أنها كانت تستعين بالملايوية للتواصل مع التلاميذ المحليين لتعليمهم المهارات الأساسية التي تساعدهم على القراءة والكتابة والحساب.

السياسة اللغوية في نظام التعليم الماليزي بعد الاستقلال

أدركت الحكومة الماليزية الأولى أهمية ربط النظام التعليمي باللغة القومية، فأعلنت مباشرة بعد استقلال ماليزيا عام 1957م ضرورة اعتماد الملايوية بدلا من الإنجليزية لغةً رسميةً للبلاد لتكون لغة التعليم والتعلم. وقد أعيدت صياغة الدستور الماليزي مرات عديدة لتحقيق ذلك، فمادة اللغة القومية لعام 1967 جاءت لتنص وبصورة حتمية على جعل الملايوية اللغة الرسمية للبلاد، كما تمت صياغة قانون التعليم لعام 1961م لجعل الملايوية لغة التحصيل الدراسي في البلاد، وجاء قانون التعليم لعام 1996م لتأكيد ذلك. ومع ذلك ظلت الإنجليزية ولسنوات طوال اللغة الأولى في العملية التعليمية. لم يكن الطريق نحو فرض الملايوية في النظام التعليمي ممهدا ومفروشا بالورود خاصة في ظل وجود لغات أخرى ذات شعبية كبيرة في المجتمع الماليزي المتعدد الأعراق واللغات. ولم تتحقق خطة السياسة اللغوية الكاملة للتعليم في ماليزيا إلا عام 1983م، أي بعد أكثر من 25 سنة من استقلال البلاد. وسنستعرض هنا أهم القرارات التي اعتمدتها الحكومة الماليزية الأولى في سياستها اللغوية.

تقرير رزاق:

شكلت الحكومة الماليزية قبيل الإعلان الرسمي للاستقلال عام 1956م لجنة خاصة برئاسة وزير التعليم الأول تون عبد رزاق حسين لدراسة سبل إعداد برنامج نظام تعليمي قومي موحد يهدف إلى جمع كلمة الشعب الماليزي وتوحيده من خلال اعتماد اللغة الملايوية لغة التعليم والتعلم. وقد أوصت "لجنة رزاق" باعتماد الملايوية اللغة القومية والرسمية بجانب الحفاظ والإبقاء على لغات جميع الأقوام الممثلين للمجتمع الماليزي وثقافاتهم[15]. وأكدت على ضرورة توحيد المناهج الدراسية في جميع المدارس بغض النظر عن اللغة المستخدمة في عملية التدريس[16].

تقرير طالب:

تولت هيئة جديدة عام 1960م برئاسة عبد الرحمن طالب وزير التعليم في ذلك الوقت مهمة مراجعة "تقرير رزاق"، وقد أوصت اللجنة بتعميم الملايوية في جميع المراحل الدراسية الأولى من الابتدائية حتى الثانوية. وقد ورد في هذا التقرير أمران مهمان، أولا: إلغاء استخدام الإنجليزية بوصفها اللغة الاتصالية في المدراس الابتدائية، واستبدالها بالملايوية. وثانيا: عقد امتحان الشهادات الابتدائية والمتوسطة والثانوية باللغة الملايوية فقط. وقد أصبح "تقرير طالب" جزءا من قانون المادة التعليمية لعام 1961م، وتم اعتماده لأكثر من 35 سنة حتى تم تبديله بقانون المادة التعليمية لعام 1996م[17].

اللغة العربية في النظام التعليمي الماليزي

مرت عملية تعليم اللغة العربية في ماليزيا بمراحل مختلفة. ففي فترة ما قبل الاستقلال، أوجد بعض الشيوخ المشاهير في القرن التاسع عشر كتاتيب خاصة بهم أشبه بالحلقات العلمية التي تعقد في زوايا المساجد أو بيوت المشايخ. وقام هؤلاء العلماء الأجلاء بتدريس اللغة العربية لأبناء المجتمع الملايوي ضمن تدريس العلوم الإسلامية. وكانت منهجية تعليم اللغة العربية في ذلك الوقت تعتمد اعتماداً كلياً على طريقة النحو والترجمة التي تركز فقط على تعليم الطلاب مهارة قراءة الكتب العربية دون الاهتمام بمهارة الكلام.

وبعد استقلال ماليزيا عام 1957م، حاولت الحكومة الماليزية إعادة هيكلة العملية التعليمية، فتبنت وضع سياسات لغوية في البلاد للدفع بالملايوية لتصبح اللغة الرسمية للبلاد، ومع احتدام الصراع اللغوي في ماليزيا بين الملايوية والإنجليزية والصينية والهندية، فقدت اللغة العربية حظوتها ومكانتها عندما خرجت من التخطيط اللغوي للسياسة اللغوية للحكومة الماليزية في الستينات والسبعينات.

وعلى الرغم من ذلك، ظهرت بعض المحاولات المتواضعة لتعليم اللغة العربية من أجل فهم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والعلوم الإسلامية والشرعية، فأنشأت وزارة التربية الماليزية عام 1977م إحدى عشرة مدرسة دينية (SMKA) للمرحلة الثانوية، سُميت بالمدارس الثانوية الوطنية الدينية، وقد أسهمت هذه المدارس في إدخال مادة اللغة العربية ضمن المواد التعليمية المقررة على طلاب المدارس الثانوية[18]، ويدرس الطلاب اللغة العربية فيها لمدة خمس سنوات[19]. ثم قامت الولايات الماليزية بإنشاء المزيد من المدارس الدينية من خلال جمع التبرعات المالية وأموال الوقف والزكاة من المسلمين. وقد تولت مجالس الشؤون الدينية التابعة لحكومة الولايات مسؤولية الإشراف المباشر على هذه المدارس والتكفل بجميع مصاريفها المادية، ويبلغ عدد المدارس الثانوية الدينية الوطنية الآن 1187 مدرسة موزعة في جميع الولايات الماليزية.[20]

اللغة العربية في التخطيط اللغوي في ماليزيا

في نهاية القرن العشرين ظهرت نتائج السياسة اللغوية التي اعتمدتها الحكومة الماليزية بعد الاستقلال، إذ ظهر جيل جديد من الماليزيين لا يعرفون الحروف العربية، ولا يستطيعون قراءة القرآن، ولا يقدرون على قراءة الأدعية والأوراد والأذكار في صلواتهم إلا من خلال الحروف اللاتينية. وتلبية لمطالب الجماهير المسلمة، قامت الحكومة الماليزية بمراجعة سياساتها اللغوية لتصحيح خطأ استبعاد تعليم اللغة العربية من التخطيط اللغوي للبلاد، فقامت برسم تخطيط لغوي جديد واضح المعالم لاعتماد تدريس اللغة العربية في المناهج الدراسية.

أصدرت وزارة التعليم الماليزية عام 1998م قراراً بتدريس اللغة العربية في المدارس الوطنية الماليزية الابتدائية؛ وذلك بناء على قرار اجتماع لجنة المناهج المركزية في نوفمبر 1996م. وقد مرت عملية تنفيذ هذا القرار بعدة مراحل، حيث تم تقديم مادة اللغة العربية في السنوات الأولى بوصفها مادة إضافية بمسمى "اللغة العربية الاتصالية". واختارت زارة التعليم الماليزية في السنة الأولى من تنفيذ هذا القرار 97 مدرسة ابتدائية وطنية لتجريب إمكان تدريس اللغة العربية لطلاب المرحلة الابتدائية.

وفي عام 2003م، قدّم رئيس وزراء ماليزيا السابق عبد الله بدوي مشروعه القومي الذي سماه بـ"الإسلام الحضاري". وقد تضمن هذا المشروع برنامجاً جديداً في مجال التعليم يهدف إلى بناء الشخصية الماليزية وتكوينها بالتعاليم الإسلامية، وقد عُرف هذا البرنامج فيما بعد بمسمى "جي قاف" (j-QAF).

يقوم برنامج (j–QAF) على أربعة أركان أساسية تتكامل جميعها لبناء الشخصية الماليزية وفق رؤية إسلامية تأخذ بمعطيات العصر الحديث. ويرمز كل حرف من حروف البرنامج إلى أحد هذه الأركان الأربعة. فالحرف الأول (j) يرمز إلى (Jawi)، وهو كتابة اللغة الملايوية بالحرف العربي المعروف بـ (جاوي)، وفي ذلك دعوة صريحة إلى العودة إلى التراث الماليزي التليد، وإحياء الحرف العربي في عملية التحصيل العلمي. والحرف الثاني (Q) يرمز إلى (Quran)، وهو القرآن الكريم، وفي ذلك دعوة إلى الاهتمام بتعلم القرآن الكريم، وجعله منهجاً للحياة. أما الحرف الثالث (A) فيرمز إلى (Arab)، وهي اللغة العربية، وفي ذلك تأكيد على ضرورة تعلم اللغة العربية لأنها الوسيلة الأساسية لفهم القرآن الكريم. والحرف الرابع والأخير (F) فيرمز إلى (Fardu Ain)، وهو فرض العين، وهي الفروض التي يتعين على أي مسلم تعلمها والقيام بها على أكمل وجه[21].

وتهدف مادة اللغة العربية بالدرجة الأولى إلى تحقيق أهداف التربية الوطنية وفلسفة التربية الإسلامية في ماليزيا التي تسعى نحو إنشاء الإنسان المتوازن والمنسجم عقليا وعاطفيا وروحيا وجسمانيا. ويركز المنهج الدراسي لمادة الغة العربية على تعليم المهارات اللغوية الأربعة (الاستماع والكلام والقراءة والكتابة)، على اعتبار أن نجاح التلاميذ في هذه المهارات الأربع يجعلهم قادرين على مواصلة عملية التعليم والتعلم، ويفتح لهم آفاقا لتعلم العلوم الدينية والإنسانية في المستقبل.

لقد كان لبرنامج (j–QAF) فضل كبير في ترسيخ تعليم اللغة العربية في ماليزيا، فقد تحولت مادة اللغة العربية الاختيارية إلى مادة إجبارية على جميع الطلاب المسلمين في المراحل الدراسية الأولى. أما بالنسبة للطلاب الماليزيين غير المسلمين، فبمقدورهم دراسة مواد اللغة العربية بوصفها مادة اختيارية ضمن اللغات الإضافية.

قامت وزارة التعليم الماليزية بتنفيذ مشروع (j–QAF) بشكل تدريجي على المدارس الابتدائية الوطنية بسبب عدم وجود الكادر التدريسي الكافي. ففي عام 2005م، تم تطبيق المشروع على 1221 مدرسة، وتكليف 3663 معلماً. وفي كل سنة يتم توسيع عدد المدارس بنسبة 16% تماشياً مع عدد الخريجين من كلية الدراسات الإسلامية واللغة العربية القادرين على تدريس مواد برنامج جي قاف. وفي نهاية عام 2010م، بلغ عدد المدارس الابتدائية الوطنية التي تدرس برنامج جي قاف 7835 مدرسة، وبلغ عدد معلمي اللغة العربية 32171 معلما[22].

مشكلات التخطيط اللغوي لتعليم اللغة العربية في ماليزيا والحلول

بدأ تعليم اللغة العربية في المدارس الماليزية في التراجع عندما قام الاستعمار البريطاني باستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية في الأبجدية الملايوية، وإخراج اللغة العربية من النظام التعليمي المدرسي في ماليزيا. وعلى الرغم من انتهاء حقبة الاستعمار واستقلال ماليزيا، لم تتمكن السياسة اللغوية الماليزية من احتواء تعليم اللغة العربية وإرجاعه لسابق عهده. ويمكن تلخيص أهم المشكلات القائمة التي تواجه تعليم اللغة العربية في ماليزيا في مجموعة من النقاط، نجملها على النحو التالي:

أولا: ضعف الكتب المدرسية الثانوية

تعد هذه المشكلة أحد أهم العوائق في تعليم اللغة العربية في المدارس الحكومية الماليزية، إذ إن المواد التعليمية باللغة العربية ومراجعها نادرة وقليلة، ويعود سبب ذلك إلى ضعف التأليف بالعربية والترجمة إلى العربية. فعلى صعيد التأليف تعاني الساحة الماليزية من عدم وجود مؤلّفين ماليزيين أكفاء متمكنين من اللغة العربية بوصفها لغة ثانية، وإن وجدوا فهُم قلّة. ونتيجة لذلك، ظهرت الكتب التعليمية العربية والإسلامية الجديدة المكتوبة باللغة العربية ضعيفةً وقليلةً جداً إذا ما قيست بالكتب التعليمية باللغة الأجنبية. أما بالنسبة للكتب المصاحبة فهي قديمة في معلوماتها، وضعيفة في أدائها، وفوق ذلك فهي لا تفي بالغرض لقلّتها. من ذلك على سبيل المثال الدراسة التقويمية التي أجراها محمد الطيب إبراهيم لتحليل كتب تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها لمركز اللغات بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وتوصلت الدراسة إلى إن كتب تعليم اللغة العربية تعاني من ضعف

واضح حيث حصل الجزء الثالث من الكتاب الأساسي على تقدير "مقبول" وفق آراء المعلمين والطلاب[23].

وفي سبيل مواجهة هذا التحدي، يقترح حنفي دوله بذل جهود مضاعفة للتأليف التعليمي باللغة العربية من خلال إعطاء الدعم والحوافز، والتدريبات، وتخصيص الميزانيات، وتوظيف الترجمة الفورية والحاسوبية لكل ما يستجد من معارف وعلوم، وتدريب متخصصين أكفاء في التحرير والإخراج الفني والدقة في تقديم المعلومات التعليمية[24].

ثانيا: تنوُّع مناهج اللغة العربية في المدارس الثانوية

تنقسم المدارس الثانوية الحكومية في ماليزيا إلى قسمين: مدارس تابعة للحكومة الفيدرالية المركزية، ومدارس تابعة لحكومات الولايات. ونتيجة لهذا التنوع، فإن اللغة العربية في هذه المدراس تقدم بصور متنوعة ومختلفة، حيث تتنوَّع مناهج اللغة العربية فيها من مدرسة لأخرى، وتفصيل ذلك على النحو التالي:

أ- تعتمد المدارس الثانوية التابعة للحكومة الفيدرالية المركزية على ثلاث مناهج تتنوع بتنوّع المدارس الثانوية الحكومية التي تنقسم إلى أنواع كثيرة، وهي:

1- منهج اللغة العربية في المدارس الثانوية الدينية الوطنية (SMKA)

2- منهج اللغة العربية في المدارس الثانوية اليومية الوطنية (SMK)

3- منهج اللغة العربية في المعاهد الثانوية الدينية الفيدرالية (SMAP)

تعتمد هذه المدارس مادتَين للغة العربية، هما: مادة اللغة العربية، ومادة اللغة العربية العالية للطلبة. ونظرا لكون هذه المدارس تابعة للمدارس الحكومية المركزية، فهي ملزمة باتباع منهج وزارة التربية المعروف بالمنهج المتكامل الجديد للمدارس الثانوية (KBSM).

ب- تعتمد المدارس الثانوية غير التابعة للحكومة الفيدرالية المركزية على أربعة مناهج تتنوَّع أيضاً بحسب تنوُّع المدارس التي تدرس فيها اللغة العربية، وهي:[25]

أ- منهج اللغة العربية في المدارس الثانوية الدينية الأهلية (SMIS)

ب- منهج اللغة العربية في المدارس الثانوية الدينية التابعة لحكومات الولايات (SMAN)

ج- منهج اللغة العربية في المدارس الثانوية الدينية الشعبية (SMAR)

د- منهج اللغة العربية في المدارس الثانوية الدينية لحكومات الولايات (SMA-A).

وعلى الرغم من أن هذه المدارس الثانوية غير حكومية، فإن بعضها يتبَع المنهج الحكومي المتكامل الجديد للمدارس الثانوية بصورة كلية، لكن بعضها الآخر يتبع مناهج أخرى من مناهج التربية لإدارة الشؤون الإسلامية بالولايات أو منهج المدارس والمعاهد الأزهرية بِمصر. وترى نور الهدى عثمان ومحمد صبري شهرير أن وجود ظاهرة التنوع في إعداد الكتب التعليمية لتعليم اللغة العربية لوصفها لغة ثانية تحديا عمليا يواجه التربويين في مجال إعداد الكتب التعليمية؛ ذلك لأن الكتب المتاحة في المؤسسات التعليمية لا تتوافر في معظمها أسس تأليف الكتب التعليمية للدارسين الناطقين بغيرها ومبادئها ومواصفاتها، ويرجع ذلك إلى أن هذه الكتب لا تراعي حاجات الدارسين وأهداف تعليم العربية، فضلا عن أن محتوياتها لا تساعد على جعل الدراسين يتمكنون من استخدام العربية بكفاءة مناسبة[26]

ولعل أفضل الحلول الناجعة للتغلب على هذه المشكلة تتمثل في توحيد المناهج والمقررات حتى لا تتنوَّع مناهج اللغة العربية الثانوية بتنوّع المدارس العربية بين المدارس الحكومية التابعة للحكومة الفيدرالية المركزية بأنواعها المختلفة وغيرها من المدارس العربية. وينبغي للغة العربية أن تتبع منهج وزارة التربية، لأنها المسؤولة عن وضع الامتحانات الوطنية المركزية الموحدة فضلاً

عن بقية الامتحانات الأخرى المختلفة. على صعيد آخر، يقع على عاتق مؤسسات تطوير التعليم والجامعات مسؤولية تطوير مناهج تعليم اللغة العربية ودعم البحوث والدراسات المعنية بتحسين المناهج الدراسية، وطرق تعليمها للطلاب الماليزيين وتطويرها.[27]

ثالثا: غياب الحوافز لتعلم اللغة العربية

لا يخفى على أحد أن أهداف تدريس اللغة العربية التي وضعتها وزارة التعليم الماليزية لا تزال بعيدة المنال، فمن أكبر التحديات التي تواجه الطلاب الماليزيين أنهم يتعلمون العربية في بيئة لا تعزز ممارسة اللغة في أي موقف من المواقف الحياتية إلا في بعض الفصول التي تدرس باستخدام اللغة العربية في ساعات محدودة. لقد خصصت الوزارة حصتين أسبوعيا فقط لمادة اللغة العربية، وهو وقت لا يكفي لتعلم لغة أجنبية، ولا شك أن إعطاء دروس اللغات الأجنبية الوقت الكافي من الدراسة من شأنه أن يساهم في خلق نوع من الحوافز لدى الدارسين، وفي الوقت نفسه يبدد الاعتقاد الخاطئ عند بعض الطلاب بأن دراسة اللغة العربية ما هي إلا مجرد أداء واجب، فهم من هذا المنطلق لا يحتاجون إلى بذل جهد في تعلمها إلا بقدر أداء هذا الواجب.

إذا ما نظرنا إلى الدراسات التي تناولت اتجاهات إقبال الطلاب الماليزيين نحو تعلم العربية، نجدها تؤكد على أن اتجاهات الإقبال ليس على مستوى إيجابي، ومرد ذلك إلى أن كثيراً من الطلاب ينظرون إلى العربية بوصفها لغة دين وليست لغة دنيا، وبذلك يحصرونها في إطار محدود من الحياة[28].

ولعل من بين الحلول المقترحة للتغلب على هذه المشكلة التعامل مع أهداف تعليم اللغة العربية بواقعية، إذ لا بد أن يدرك الطلاب ويستشعرون أن العربية لغة حية، فهي إن لم تكن بالنسبة للطلاب لغة الدين، أو لغة التعليم المدرسي، أو لغة التأليف والبحث والإبداع، فإنها سوف تؤول إلى الضمور أمام تقدم اللغات الأخرى وتطورها. إن قضية تدريس المواد العربية في المدارس الماليزية يجب ألا تكون قضية تعليم لغة أجنبية فحسب، فهي قضية مصيرية ترتبط بتاريخ الأمة الملايوية واستمرارها وقدرتها على البقاء. لذا فإنه يتوجب على الوزارة أن تحاول عبر التخطيط اللغوي إيجاد الحلول المناسبة لمسائل اللغة العربية في المجتمع، ولا ينبغي أن ينحصر التخطيط اللغوي على الحكومة فحسب، وإنما بإمكان المؤسسات والأجهزة الأخرى المشاركة في إنجاح هذا العمل.[29]

الخاتمة

يتبين لنا مما تقدم أن اللغة العربية تحظى باهتمام كبير لدى الشعب الملايوي المسلم، وهو ما جعل وزارة التعليم الماليزية تصدر قرارا بتدريس اللغة العربية في المدارس الوطنية ابتداءً من المرحلة الابتدائية حتى المرحلة الثانوية. ولكن أهداف تدريس اللغة العربية التي أعلنت عنها وزارة التعليم الماليزية لا تزال بعيدة المنال؛ وذلك يعود إلى جملة من الأسباب، أهمها أن مادة اللغة العربية لم تأخذ حقها من ساعات التدريس، فهي تقدم في حصتين فقط أسبوعيا، كما تعاني المواد التعليمية باللغة العربية ومراجعها من ضعف ملحوظ، فضلا عن تنوع المناهج المستخدمة في المدارس الحكومية وغير الحكومية. ولكن، على الرغم من هذه العقبات إلا أن مستقبل اللغة العربية في ماليزيا لا يزال بخير لأنه يحظى بدعم جميع طقبات الشعب الماليزي المسلم؛ وذلك مصداقا لقوله تعالى: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} (الحجر: 9).

[1] فضيل، عبد القادر، **واقع السياسة اللغوية في بلادنا بعد خمسين سنة من عمر الاستقلال**، في: اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، المجلد 16، العدد 1، ص89.

[2] عباد، سامي، وآخرون، **معجم اللسانيات اللغوية**، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1997م)، ص 77.

[3] الفهري، عبد القادر الفاسي، **السياسة اللغوية في البلاد العربية**، (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ص2013م)، ص82.

[4] كوبر، روبرت ل.، **التخطيط اللغوي والتغير الاجتماعي**، ترجمة: خليفة أبو بكر الأسود، (ليبيا: مجلس الثقافة العام، 2006م)، ص 70.

[5] المحمود، محمود بن عبد الله، **التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية، تأصيل نظري**، مجلة التخطيط والسياسة اللغوية، السنة الثالثة، العدد السادس، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، إبريل 2018م، ص14.

[6] Kassim Thukiman, Zaliza Mohd. Nasir, **Hubungan Etnik di Malaysia: Perspektif Teori dan Praktik**, (Kuala Lumpur: Universiti Teknologi Malaysia, 2009), hlm. 168.

[7] يعقوب، عبد الغني؛ وداود، ندوة، اللغة العربية وعاء للثقافة الملايوية، تحرير: مجدي وآخرون في **اللغة العربية في ماليزيا**، (الرياض: دار الوجوه للنشر والتوزيع، 2017م)، ص 20-21.

[8] Hamdan Abd. Rahman, Tulisan Jawi Ke Arah Penggunaan Dan Pengukuhan Yang Meluas. (Seminar Bahasa Melayu dan Pembangunan Insan, 1998), p. 11-13.

[9] Asmah Haji Omar, **Pengajaran Bahasa Malaysia Dalam Konteks Perancangan Bahasa Kebangsaan**, (Kuala Lumpur: Dewan Bahasa dan Pustaka, 1992), hlm. 9.

[10] See: Awang Sariyan, **Teras Pendidikan Bahasa Melayu**, (Kuala Lumpur: PTS Academia, 2014), hlm. 40.

[11] Asmah Haji Omar, **Pengajaran Bahasa Malaysia Dalam Konteks Perancangan Bahasa Kebangsaan**, hlm. 18.

[12] Asmah Haji Omar, **Pengajaran Bahasa Malaysia Dalam Konteks Perancangan Bahasa Kebangsaan**, hlm. 18.

[13] Awang Sariyan, **Teras Pendidikan Bahasa Melayu**, hlm. 41.

[14] Mohd. Salleh Lebar, **Perubahan dan Kemajuan Pendidikan di Malaysia**, (Kuala Lumpur: Nurin Enterprise, 1988), hlm. 50.

[15] Asmah Haji Omar, **Pengajaran Bahasa Malaysia Dalam Konteks Perancangan Bahasa Kebangsaan**, hlm. 19.

[16] Awang Sariyan, **Teras Pendidikan Bahasa Melayu**, hlm. 44.

[17] Abu Zahari Abu Bakar, **Perkembangan Pendidikan di Semenanjung Malaysia**, (Petaling Jaya: Penerbit Fajar Bakti, 1980), hlm. 80-81.

[18] Fakulti Pendidikan, Universiti Kebangsaan Malaysia, Prosiding Wacana Pendidikan Islam (Siri 1), (Siri Penerbitan Fakulti Pendidikan, 2002), p.179.

[19] عبد القادر، زين العابدين، تعليم اللغة العربية في مدارس وزارة التربية بماليزيا، ورقة بحثية مقدمة في الندوة العالمية لتطوير تعليم اللغة العربية بماليزيا، (ماليزيا: الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، 1990م)، ص: 3.

[20] راجع: شيك، عبد الرحمن، **تعليم اللغة العربية في ماليزيا**، http://www.arabtimes.com/portal/article، منشور في: 2012/4/1م.

[21] انظر: نئ دين، نئ مرشدة، **كتاب اللغة العربية للصف الأول في المدارس الابتدائية الوطنية: دراسة تقويمية**، رسالة ماجستير غير منشورة، (ماليزيا: الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا: 2009م)، ص19.

[22] المصدر السابق.

[23] إبراهيم، مُحَمَّد الطيب، **كتب تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها: نظرة تحليلية بين توقع المعلم وطموح الدارس**، ورقة مقدمة في المؤتمر العالمي الرابع في تعليم اللغة العربية وآدبها لأعراض خاصة، الجامعة العالمية الإسلامية بماليزيا، كوالا لمبور، 15-17 مايو 2013، ص 50.

[24] دولة، حنفي، التخطيط اللغوي لتعليم اللغة العربية في المدارس الثانوية الماليزية، تحرير: مجدي وآخرون في **اللغة العربية في ماليزيا**، (الرياض: دار الوجوه للنشر والتوزيع، 2017م)، ص 119.

[25] http://www.rmt.net.my/y3/maklumat /sar. htm

[26] عثمان، نور الهدى؛ شهرير، مُحَّد صيري، **الاتجاهات الحديثة نحو فعالية الكتتب المقررة لتعليم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية أو أجنبية**، ورقة مقدمة في المؤتمر العالمي الثالث للغة العربية وآدبها: الاتجاهات الحديثة في الدراسات اللغوية والأدبية، الجامعة العالمية الإسلامية بماليزيا، كوالا لمبور، 28–30 سبتمبر 2011، ص 375.

[27] دولة، حنفي، التخطيط اللغوي لتعليم اللغة العربية في المدارس الثانوية الماليزية، ص 121.

[28] Hasan Basri Awang Mat Dahan, Mohd Azhar Zailani, Pengajaran Bahasa Arab untuk Tujuan-khusus: Satu Pandangan Awal, **Masalah Pendidikan**, Universiti Malaya, 2005, hlm. 236

[29] دولة، حنفي، التخطيط اللغوي لتعليم اللغة العربية في المدارس الثانوية الماليزية، ص 122